- تم خلق الكون بتمام قدرات الله جل جلاله:

وجاء الإنسان إلى الكون – بعد أن تم خلقه – فلم يضف إليه شيئاً إلا عمارة الأرض.. التي هي مهمته في الحياة الدنيا. وهي وظيفته الأساسية بها. وكذا لتوفير الطاقات اللازمة لتحقيق هذه العمارة.

فالإنسان هو المخلوق الوحيد المكلف بإعمار الأرض وعمرانها.

أي أننا مكلفون – شرعاً – من الله تعالى بعمارة الأرض على وجه الخصوص.

ونصوص القرآن الكريم في ذلك واضحة:

" هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها" (هود -61).

" استعمركم فيها" أي كلفكم بعمارتها وعمرانها.

" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" (البقرة -30).

" وهو الذي جعلكم خلائف الأرض" (الأنعام -165).

" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض" (النور -55).

ويفسر جمهور العلماء معنى الاستخلاف في الأرض بأنه الخلافة عن الله عز وجل في إعمار الأرض – وفي تنفيذ وتدعيم أوامره بين الناس – والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ويضيف العلماء الآيات الدالة على وجوب كسب العيش لإعمار الأرض. مثل قول الحق سبحانه: "ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش" (الأعراف -10).

عمارة الأرض هي أصدق سجل للحياة. بل هي أصدق من التاريخ. وأعمال العمارة والعمران تتضمن التجارب الرئيسة لأي أمة – وتوثقها – وتمثل الخبرات الجماعية المتراكمة للأمة وسعيها للجمال.

وكل أمة عندها نوع العمارة الذي يناسبها في الحياة الدنيا.

- العمارة – عامة – تنمو من الداخل. دائما وأبداً منذ أن ظهرت.

فالحيز الداخلي هو النواة والقلب لأي مبنى. والمبنى ينمو منه – كما قال علماء العمارة ومنظروها – ولذلك فإن الحيز المعماري الداخلي هو حقيقة العمارة وغايتها ومرادها وهدفها. والناس يتعاملون مع العمارة الداخلية – كل يوم – صباح مساء. وبسبب هذه العلاقة الانتفاعية اليومية بين الإنسان والحيز. فإن العمارة الداخلية هي أكثر الفنون منفعة وجمالاً وصلة بالواقع وأظهرها فائدة. وهي – مثل البشر – ضرورة في المكان وامتداد في الزمان.

وعندما ينتقل الأمر من عمارة المكان إلى حياة المكان وجماله وبهجته.

ندرك مدى أهمية وجدوى هذا التخصص – الدقيق – العمارة الداخلية.

obeikandl.com

- **يعتمد مشروع هذه الدراسة على ثلاثة محاور رئيسية:**

1- **الرؤية الشاملة لماهية العمارة الداخلية. بمعنى الإطار الفلسفي الذي يوجه العملية التصميمية للحيز المعماري الداخلي.**

2- **السياسات التي تضع الإطار الفلسفي موضع التنفيذ في مجالات الإبداع والتصميم والعمارة الداخلية والعمارة عامة.**

3- **المشروعات التي تجسد الفلسفة والسياسات.**

- **أتناول في هذه الدراسة النظرية المثالية الأساسية اللازمة...**

لتحديد وتكوين وتقييم ودعم مفهوم العمارة الداخلية وتعريفها.

والمعايير الفنية العلمية لها. وماهية التصميم كنظام أساسي للمشروع.

هذه الدراسة تهم كافة المهتمين برسالة الإبداع. والفنون المرئية والتشكيلية. والتصميم والعمارة الداخلية والعمارة عامة.

سواء على المستوى الأكاديمي أو المستوى المهني و الحديث.

لكن الصعوبة أن هذه الدراسة تتضمن اعتبارات وموضوعات غير مسبوقة. ولم تتعرض لها الدراسة من قبل. فضلاً عن أن هذا البحث لم يحظ بدراسة – متخصصة – متكاملة بعد.

- **الهدف من هذا البحث هو: وضع الأسس والقواعد والمعايير النظرية لهذا التخصص الهام والصعب – العمارة الداخلية – وتوظيف النظرية وتحديدها وصياغتها وتطويرها إلى واقع عملي منتج – يخدم الإنسان والمجتمع والأمة – ويساهم في رفع كفاءة وجودة الحياة.**

كما يهدف البحث إلى تحديد العناصر والركائز والشروط الأساسية والضرورات التي ينبغي توافرها في تصميم مشروعات العمارة الداخلية: الإبداع والوظيفة والجمال والوحدة والبساطة والنسب وصحة الإنشاء – والعناصر المكملة – الضوء واللون والملمس ... فضلاً عما يضمن التعامل معها من أصول وضوابط وقواعد ومنطق وارتباط متبادل.

أقول إنني لم أقدم على وضع التعريف والنظرية – التي ألهمتها هذه الدراسة – إلا بعد ممارسة ومزاولة متصلة لخبرات العمارة الداخلية وتحديثها ومعايشة أبحاثها وتعليمها. وإرساء قواعدها – طوال خمسين عاماً – قمت خلالها بفضل الله وعونه بإنجاز العديد من المشروعات في نفس المجال والتخصص (بمصر والخارج). وبذل الجهد لتحويل الممارسة والخبرة إلى قيمة واقعية تخدم الحياة. والمهنة. والمجتمع والاستثمار. والإبداع في مصر.

obeikandi.com

لقد استوعبت من تلك الممارسة والخبرة والمعايشة... الرسالة والقيمة والمعنى والهدف من هذا التخصص. أسعى إلى تأسيسه ووضع وإرساء قواعده فنيا وعلمياً – أشارك في صنعه وأساهم في ريادته وقيادته – وأجد فيه الهواية والرضا والحب (رغم الإغراء المستمر بالعمل خارج مصر.. وفي أوروبا على وجه التحديد).

ولقد كان من استخلاص تلك الخبرة أن تصاغ نظرية العمارة الداخلية.

• إني دائماً على يقين من أن: الممارسة هي التي تخلق النظرية وعناصرها. (وليس العكس). ولعل ما أستقر الآن في بناء نظرية مثالية للعمارة الداخلية يؤكد ذلك. والنظرية مهما كانت مصداقيتها. ومهما كانت حبكتها – المنطقية والفكرية – لا يمكن أن تتحول إلى قيد على الواقع. الذي يتدفق بالحركة والتقديم والتطور والتغير والحداثة.

وإلا اصطدام مفهوم تطبيق النظرية بالواقع. وطموح المجتمع.

كما أن التجربة هي محك الحكم على صدق النظرية وحقيقتها.

وسلامتها للتطبيق وقيمتها. واليقين بأنها نظرية مثالية محكمة.

ولا يصح أن تظل هذه النظرية سجينة الفكرة المجردة.

إنما تظهر قيمتها وصدقها في مجالات التطبيق العملي الواقعي.

وبتعاملها مع الواقع – طوال حركته المتغيرة – ودعمها للحياة.

ومن خلال تعاملها مع الحقائق. والحقيقة لا تكون كاملة إلا بشقيها:

- الحقيقة كمفهوم نظري. لا يفارق ضمير الإنسان أو ضمير الأمة:

- والحقيقة كقوة فاعلة مؤثرة قادرة على تغيير الحياة والمجتمع.

• العمارة الداخلية هي أحد التخصصات – الفنية العلمية – الخاصة بوظيفة وكفاءة ومنفعة البيئة المحيطة مباشرة بالإنسان. وتشمل:

أولاً: الحيز – الفراغ الداخلي – داخل المنشآت المعمارية.

ثانياً: الحيز – الفراغ الخارجي – الناتج "بين" مجموعة من المنشآت المعمارية.
(حيث يمثل حيزاً داخلياً اعتبارياً).

ولقد ابتكرت – أيضاً – هذا التعريف البسيط اليسير المختصر:

• <u>العمارة الداخلية هي الفن العلمي لتشكيل وصياغة الحيز الداخلي</u>:

العمارة الداخلية: احتفال وتكريم للإنسان في المقام الأول.

ونحن في هذه المهنة نصنع الجمال. ثم نبيعه أو نستثمره.

نعم نحن نصنع الجمال والبهجة والغبطة والسرور للناظرين.

obeikandl.com

- يمكن النظر إلى الحيز المعماري – كما اعتبره كثير من علماء العمارة ومنظريها – على أنه فراغ داخلي يكفى لاحتواء الناس وما يحتاجون من أثاث وأدوات وبما يسمح من نوع الحركة في كل أحوال المعيشة والسكن والعمل والعبادة والتعليم والعلاج والترويح ..إلخ (بين مجموعة الحوائط والأسقف في المباني المتنوعة) وأن الهدف الأول للعمارة هو تهيئة البيئة المناسبة للإنسان. بنظام يوفر له الاحتياجات المادية والمتع الفنية والفكرية. وهذا الفراغ الداخلي يتيح للإنسان استيفاء احتياجاته اليومية. فيستقطع بذلك جزءاً من الفضاء الخارجي ويعزله – فيجعل منه فراغاً داخلياً – بكمية محددة.

- إنما – النظرية المثالية – تعنى أن المصمم المبدع يخلق بداخل أعماله المعمارية "حيزاً خاصاً" هو صورة مصغرة لحقيقة الكون الكبير – الذي خلقه الله تعالى – ثم أمرنا بعمارته وعمرانه فكلفنا بذلك وكرمنا بهذا. بعمارة الأرض. والحفاظ على الكون. والجمال الكوني ومعطياته ونظمه وتنظيمه. وبه يخلق هذه الدنيا الصغيرة وبذلك يحصل على بيئة خاصة ومجال خاص ومنطقة نفوذ.. وتكوين وتشكيل وصياغة علاقات فراغية انتفاعية جمالية يعايشها الناس – كل يوم – صباح مساء. تعكس مجموعة أهداف ينبغي تحقيقها واستيفاؤها – في العمارة الداخلية – لكي ترتقى للقيم الكبرى وما ننشده من إبداع.

العمارة الداخلية تختص بتشكيل وصياغة هذه الدنيا الصغيرة كما تختص بوظيفة وكفاءة ومنفعة البيئة المحيطة – مباشرة – بالإنسان. فتكون ثمرة لتلك الفاعليات الإبداعية الإنتاجية التي نمارسها لعمارة الأرض. ومن ثم نعمد إلى الاهتمام بخلق هذه الدنيا الصغيرة. وتحقيق وظائفها وأهدافها. والانتقال من دائرة العام إلى دائرة الخاص فيها.

وفي تقديري أن العمارة الداخلية لا تخرج عن كونها واقعة من وقائع الحضارة أو الثقافة – هي مجموع القيم الرفيعة التي نصل إليها بعد سفر القلب طويلاً في الفنون والعلوم والآداب- وإنسانيات حياة كل يوم. هي جزء من وجدان الناس. ثم هي أيضاً ذلك الإنتاج الفني – التعاوني الجماعي – الصادق العامر بالبهجة والعاطفة والجمال الذي يوحد القلوب والعقول ويسعدها.

• لابد أن نقر منذ البداية بأن الانتماء والأصالة والارتباط بالتراث المصري – وحبه – دلالات نجاح وفطنة وتميز. ولذلك ينبغي القيام بتحليل وفحص شامل وفرز لتراثنا "ونخله" ووصفه وحمايته.

كما يجب تحديد العناصر التي لها قيم – دائمة – في تراثنا العمراني.

ولابد كذلك أن نعرف أننا نتاج كل الحضارات – الزاخرة – التي مرت بنا.

ولذلك أقول – دائماً – إن الحداثة لا تعني القطيعة مع التراث.

بل إني أزعم أن عبقرية الحداثة تتفق وتنسجم وتتزاوج تماماً مع عبقرية التراث المصري. وخاصة في مشروعات العمارة الداخلية المصرية – السياحية – التي ينبغي أن تعكس حضارة مصر.. وحاضرها.

• وهكذا ننتهي إلى القول بأن ما يميز العمارة الداخلية إنما هو هذا الدور الهام الذي تقوم به – يومياً – في حياة الناس والدنيا والمجتمع. وهي بين الفنون جميعها أقربها إلى الإبداع والإنتاج – وهما القوى الرئيسية التي تحرك كل شيء في حياتنا الآن – فالعمارة الداخلية في جوهرها إرادة حياة أفضل. وأجود وأجمل. وهي لا تخلو أبداً من جهد إبداعي جمالي وظيفي.

الإبداع ظاهرة حضارية ملازمة للإنسان. لقد نشأت الحضارة بفضل قدرة الإنسان على الإبداع.. بمعنى قدرته على استخدام العقل والخيال من أجل التحكم في الواقع. لتلبية حاجاته وتغييره وتنميته. وتوجيه مساره نحو المستقبل. بذلك ينسحب الإبداع – في تقديري – على شتى مجالات الإنتاج واتساع العمران. لقد أصبح الإبداع بتحقيقه للمنفعة والجمال والجديد. أهم عنصر مؤثر في عصرنا في أي عملية إنتاجية. فالإبداع ملازم للإنتاج وشرط جوهري من شروط الحضارة. وكذلك من شروط المستقبل.

إن مستقبل مصر رهن بكيفية إمكان أن نتحول إلى منتجين مجددين مبدعين... وليس إلى مستهلكين للحضارة.

والقضية الأولى – التي لا مفر من مواجهتها – هي أن نسرع جهد الطاقة لنلحق بمسار الحقيقة. فنحن مقبلون على مرحلة من حياة البشرية يصعب فيها إخفاء الحقائق... على ضوء هذه الرؤى كان منطلق الدراسة لإدراك مراميها وتحقيق أهدافها- دراسة فاحصة للواقع الذي أثمر النظرية – وتتبع أثره على تطورها واستكمال عناصرها. وعما يجب اعتماده أساساً لمنطق الإبداع والتصميم في الأبعاد الأربعة (الرابع هو بعد الزمن).

هذه المقدمة طالت... ولكنها ضرورية.

- **يقول سيدي – رسول الله – صلى الله عليه وسلم:**

" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث. صدقة جارية. أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له" (رواه مسلم).

إني أدعو ربي سبحانه أن يوفقني ويعينني ويساعدني. لعل ما يحويه هذا الكتاب – يكون علماً – يستحق أن ينتفع به.

والله من وراء القصد.

وكل ما أصبو إليه هو مرضاة الله جل شأنه.

ويظل الدعاء – المعجز – الذي جاء به القرآن العظيم. يظل دائما غاية الغايات: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" (البقرة -201).

- **نقطة أخيرة: لقد أوصيت أن ينشر هذا الكتاب بتكلفة الورق والطباعة فقط – وكذلك في حال ترجمته إلى لغات أخرى – دون أن يكون لي أي كسب أو ربح أو عائد.**

ختاماً أرجو أن يكون هذا العمل – وهذا الكتاب – خالصاً لوجه الله تعالى. وأن يتغمدني (يوم لا ينفع مال ولا بنون) برحمته.

الأستاذ الدكتور محيي الدين محمد وهبه.

أستاذ العمارة الداخلية.

كلية الفنون الجميلة بالزمالك – القاهرة – مصر - جامعة حلوان.

obeikandl.com

- ما زال "الكتاب" حارساً للتجربة الإنسانية وتوثيقها ولمستقبلها أيضاً.

فالكتاب كان ولا يزال الوسيلة الأولى للتعلم والاتصال والمعرفة والثقافة. رغم الدور المتنامي للوسائل الأخرى كمصدر للمعلومات وتسجيلها.

لقد زادت أدوات المعرفة بالوسائل الصوتية والمرئية والحديثة... ورغم ذلك ما زال الكتاب هو الأصل. وما زال القلم والكتاب هما أداة المعرفة الرئيسية.

وبديهي أن المكان المناسب للحفاظ على هذه النظرية ودوام وسهولة الإفادة منها. لابد وأن يكون الكتاب والكلمة المطبوعة.

- الحقيقة التي نبدأ بها – هذا المدخل – هي أن الهدف من التعليم هو بناء الإنسان... وصنع بشر أفضل لإعمار الأرض. ولمواجهة تحديات المستقبل.

والعبرة هنا أن استقامة القصد هي أقصر طريق إلى بلوغ الهدف.

وإذا كانت المعرفة هدفاً في حد ذاتها. فإن إحدى وظائف العلم الأساسية هي حل المشكلات التي تواجه المجتمع وتعظيم جودة الحياة.

ولذلك فإن الربط المحكم بين العلم والتعليم والتعلم والعمل... قضية حاكمة ورسالة هامة لها بالتأكيد مردودها الإيجابي في كل نواحي حياتنا ومستقبلنا (وتطويرها وتحديثها) في كافة القطاعات.

لقد أصبح التعليم – في مصر – يسير في دورة قصيرة قوامها: تلقين فتخزين فاستدعاء فانطفاء... وأصبحت المناهج تركز على المعلومة دون إطار ثقافي. ومن ثم تصبح النقاط البؤرية لتصميم السياسات التعليمية هي الاهتمام بأساليب "التعلم" والانتفاع بالمعلومات بقصد تربية العقل وتنمية الفكر وتوفير المناخ الملائم للإبداع والإنتاج واتساع العمران وتراكم الخبرات. ودعم المواهب.

- الغرض من العملية التعليمية هو: التعلم... وليس الامتحان فقط.

وفي تصوري أن تحقيق ذلك يستلزم بناء فلسفة تعليمية واضحة المعالم. يمكن في هداها ربط التعليم بالحياة – وبواقع المجتمع وحاجاته وأهدافه – وتحديد الاحتياجات الحقيقية لسوق العمل – من مختلف التخصصات – حالياً ومستقبلاً – والاهتمام بمنظومة البحث العلمي في مصر. والباحثين أنفسهم ورعايتهم.

- منذ قليل احتفلت الإنسانية بقرن جديد وألفية ثالثة. وسيمضى القرن العشرون ليبقى علامة فاصلة في تاريخ البشرية – بالتحولات الكبرى التي أحدثها على صعيد كل من الفكر والتقنية والإبداع – وإعادة ترتيب العالم. إنها النقلة إلى مجتمع حضارة الألف الثالثة التي بدأت ملامحه تتجلى في صور شتى.

openkandil.com

• "مصر" مصدر إشعاع ثقافي متصل الحلقات – يمتد إلى ربوع الدنيا – ويعبر عن وسطية الإسلام وسماحته. ونحن مطالبون بتعريف العالم بما تحمله حضارة الإسلام من خير وإصلاح وعدل وعطاء وبحقيقة رسالة الإسلام. الذي يتسع صدره للجميع ويحترم حق الآخرين في الاجتهاد. وأن يفهم الإسلام فهماً منصفاً يليق بجلاله وجماله – وأن نفتح أمام الناس أبواب الرحمة الإلهية – وأن نقيم الدعوة على الحب (لا على الخوف) وأن لا نتوقف عند الشكليات أو الأمور الخلافية. إيماناً بأن مهمة العلماء هي تجميع الناس لا تفريقهم. وما زال العطاء الحضاري للإسلام ممتدا حتى الآن.

• من المدهش أن الأمر الإلهي الأول الذي نزل به الروح الأمين على رسول الله كان قوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق..." نحن أمام دعوة إلى القراءة. دعوة عامة وشاملة للعقل الإنساني – أينما كان وحيثما كان – إن القراءة طريق إلى العلم... والعلم هدف أصيل في خلق الوجود.

والعلم طريق لخشية الله: "إنما يخشى الله من عباده العلماء". وحضرة النبي يوصينا بالعلم والعلماء: "ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه". وصدقت يا سيدي يا رسول الله.

• الجامعة هي كعبة العلم والعلماء... كما أنها قاعدة لانطلاق الأحلام إلى المستقبل. ولسنا نختلف أن كثيراً من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي نواجهها تضرب بجذورها في أزمة التعليم. كما أن تطوير التعليم الجامعي يمثل ركيزة أساسية للإصلاح والتنمية وعنصراً حيوياً في بناء النهضة والمستقبل. في الماضي كان الأستاذ الجامعي هو المصدر الوحيد للتعليم الجامعي فالجامعة "أستاذ أولاً" والأستاذ الجامعي هو ضمير الأمة وقدوتها – الصالحة – ورغم المشاعر العامة السلبية فهناك رموز جليلة داخل الجامعة وأغلب الأساتذة – الشرفاء – يبذلون أعمارهم وجهدهم لأبنائهم الطلاب ولأبحاثهم وللخريجين دارسي الدبلوم والماجستير والدكتوراه.

علم غزير وعمل دءوب وخبرات تستحق الاحترام العظيم والامتنان العميق وتمسك بالقيم الأخلاقية والرسالة والدور الريادي في المجتمع...

لقد احتفلت جامعة القاهرة – في عام 2008– بمرور مائة عام على إنشائها. كما احتفلت كلية الفنون الجميلة بالقاهرة – بنفس المناسبة في ذات الوقت – بمئويتها أيضاً... وهي تضم أساتذة ورواد الحركة الفنية التشكيلية في مصر. على مدى قرن كامل من الزمان وفي المكان.

- **إذا انتقلنا من التعميم إلى تأمل واقعنا الأكاديمي أو المهني:**

نجد أن أي فكر عام لتعليم العمارة الداخلية ينبغي أن يقوم على رؤية مشتركة بين من يقومون عليه. واليقين بالدور إلهام الذي تلعبه العمارة الداخلية بحياتنا اليومية والمستقبلية أيضاً.

بالإضافة إلى دورها الأساسي في إعداد الحيز المعماري الداخلي. وتوظيفه وتهيئته وتكييفه وتطويره من أجل الأداء الأمثل للأنشطة اليومية الحياتية المتنوعة بالبيئة المحيطة مباشرة بالإنسان و البيئة العمرانية على الأرض. وتعليم التصميم البيئي – وهو مجال جديد نسبياً – وكذلك إيجاد آليات فعالة لاكتشاف المواهب.. . فأغلب النبوغ توافق بين الموهبة والمهنة.

وأن يحتوي البرنامج التعليمي للعمارة الداخلية على دراسة الركائز الأربع:

- **الدراسات الأكاديمية للعمارة والفنون المرئية التشكيلية.**
- **المشروعات والأعمال الفنية والهندسية والإنشائية.**
- **الأعمال الإبداعية والإبتكارية الخلاقة الخاصة بالحيز الداخلي**
- **قواعد وأصول الممارسة المهنية – وأخلاق المهنة- وإعداد المواصفات وشروط التعاقد. وإدارة مشروعات العمارة الداخلية.**

فالدور الراهن لمصمم العمارة الداخلية دور هام وأساسي. لخدمة الإنسان وتكريمه ولعمارة الأرض وحراسة الجمال الكوني ودعمه.

ونحن في حاجة إلى مصممين مبدعين ومجددين لمعالجة تراكمات التخلف. وكسر القيود الناجمة عن قصور الموارد وتدهور البيئة.

- **كما نحن في حاجة إلى الارتقاء والحافظ على تراثنا وقيمنا الحضارية.**

خاصة وأن ثورة التقدم التقني – وتلاحم قواها وانتفاعاتها – غيرت من مقاييس الولاء والانتماء. وجعلت ارتباط المصمم المصري ببيئات أوسع وأكبر وأرحب. ويكون ضروريا – وفي خط متواز – الإصلاح الجذري للوضع الحالي وسلبياته وإنقاذه من القصور والتردي والانحراف – جهلاً بالحقيقة أو تجاهلاً لها – إلى فهم وتعليم العمارة الداخلية على أنها الزخرفة أو الديكور! (هذه الكلمات التي يجب أن نمتنع عن استعمالها أو العمل بمفهومها نهائياً) فهذه لا تمت إلى حقيقة العمارة الداخلية بصلة. ولابد من حماية المهنة وتقنينها. لتبقى العمارة الداخلية مهنة بذل وعطاء. فالمهنة ما زالت تعاني من الأدعياء وغير المتخصصين والدخلاء. أقول إن الخسائر مستمرة... تتفاقم وتتضاعف.

obeikandl.com

لقد ارتأيت أن يكون المحتوى لهذه الدراسة من أربعة أجزاء:

يتناول الجزء الأول عمارة الأرض:

- نبدأ بالإنسان... فالإنسان هو محور الكون - الذي قامت به وحوله الحضارات الإنسانية - كما أنه هو المخلوق الوحيد القادر على الإبداع.

الإنسان كائن فريد كرمه الله سبحانه دون سائر المخلوقات.

إن قدر الإنسان رفيع – وله جوانب ونواح عديدة ذات صلة وثيقة بنشاطه الخلاق – في تفسيرها الوسيلة إلى فهم مشكلات كثيرة في العمارة وفي الحياة عامة. فالإنسان مكلف بإعمار الأرض وعمرانها.

وإعمار الأرض يكفل إنماء المجتمع. ويستلزم توافر الطاقات اللازمة لتحقيق هذه العمارة – سواء كانت طاقات بشرية تكمن لدى الإنسان أو الجماعة أو طاقات مادية تتمثل في مجموع وسائل الإنتاج المتاحة للمجتمع – وتكون هذه الطاقات البشرية والمادية وموارده الطبيعية مجموع ما يتوافر لهذا المجتمع من طاقات يستعين بها في القيام بوظيفة إعمار الأرض. ومن ثم فإن عمارة الأرض تمثل قيمة الإنتاج في أي مجتمع. ومن خلالها نستطيع التحكم على أي أمة من الأمم. وفي أي عصر من العصور. وأي حضارة من الحضارات (وهي أصدق من التاريخ).

ولقد أصبح للعلم – وتطبيقاته التقنية – أثر كبير على عمارة الأرض.

ولئن كان العصر الحديث قد جعل العلم أساساً للبناء الحضاري.

فإن الإسلام جعل العلم جزءاً من الدين. هذا العلم يستهدف عبادة الله تعالى بمعرفة خلقه – معرفة تمكن الإنسان من الإلهام بمعجزات هذا الخلق – فالعبادة تعني في المفهوم الإسلامي أمرين:

- التوحيد ومعرفة الله وطاعة التكاليف وكمال العبودية لله عز وجل.
- عمارة الأرض (وهذا هو المعنى المهجور في العبادة).

كما كان الإنسان دائماً هو: مخلوق الله المختار.

وكما كانت الصلة الوثيقة بين الفن والدين... فلقد نشأت الظاهرة الجمالية أول ما نشأت – كما قيل – بين جدران أماكن العبادة. حيث ظهر فن العمارة – أقدم الفنون جميعاً – ثم ظهر فن النحت وفنون الجداريات... إلخ. فكان الدين هو الظاهرة الكبرى التي عملت على ظهور الفن وتطوره. ولم تلبث أن ظهرت مصنوعات الإنسان التي ابتكرت – كل منها – بناء على قدر من الحاجة.

فلابد من أن نتوقف عند "تصميم" هذه الحاجات الإنسانية.

فيختص الجزء الثاني بالتصميم:

• التصميم عمل أساسي للإنسان. وعملية التصميم تعنى العمل الخلاق المبتكر الذي يحقق غرضه. وليس لكل فعل – في هذه العملية – هدف فقط – بل ينبغي أن ينتهي إلى إضافة الجديد... وعملية الإبداع هي التي تضيف هذا الجديد.

والتصميم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنتاج – الإنتاج هو جوهر النشاط الاقتصادي – كما أن حقيقة العملية التصميمية غالية ذلك لأنه لا شيء فيها يتحول إلى حقيقة ثابتة إلا بعد التجربة (التي عندما تتم فإن ثمنها يكون قد دفع بالكامل) فلابد لأي تصميم من الوفاء بنفقاته وجدواه وجدارته بها.

ويهتم هذا الجزء بالتصميم كجزء من السلوك الإنساني فردياً كان أم جماعياً وكنظام أساسي لوضع المشروع. كما يتناول بالدراسة والتحليل الحقائق الأساسية التي تشترك فيها مختلف المشروعات. والتصميم بين النظرية والتطبيق والاعتبارات الاقتصادية. كما أتناول هنا مجموعة من التعريفات – الموثقة – للعملية التصميمة. بهدف رصد وجهات النظر لكل منها. وما يمكن استخلاصه من الجوانب الهامة التي تعددت لمفهوم التصميم والعملية التصميمية. والعلاقات المرئية و الإنشائية. وأبعاد المشكلة التصميمية الثلاثة: الاحتياج – البيئة – الشكل. حتى يتم الحصول على تصميم جيد يلبي كافة الاحتياجات النفعية والجمالية للمشروع. مع التركيز على عملية التصميم المعماري لكونها نتاجاً بين العلم والفن. ودلائل التاريخ تؤكد أن الفن والعلم يعتمدان على بعضهما البعض. وفي كل العصور – تقريباً –أنتجت أعمال تجمع بين نظم فنية ونظم علمية. وكان هناك دائماً توازن وتكامل وتعاون بينهما.

كما أتعرض لمراحل عملية التصميم (خاصة مرحلة ما قبل التصميم) ومرحلة التصميم الأولى ومرحلة التصميم المتطور. انتهاء بمرحلة التصميم التنفيذي.

وكذلك مناهج اتخاذ القرار التصميمي سواء اتخاذ القرار بالخبرة. أو اتخاذ القرار بالدراسة و التحليل. وثالثاً اتخاذ القرار بمزيج من النمطين السابقين وأهم المداخل التي تندرج تحت كل منها: المنهج الإبداعي – المنهج المنطقي – المنهج الجماعي. وينتهي الجزء الثاني ببرنامج مقترح لتنظيم العملية التصميمية للعمارة الداخلية – وخطة كاملة حاكمة – وتطورها من فكرة إلى اقتراح إلى تحليل إلى صنع قرار إلى برنامج – إلى الحل الأمثل – إلى تطبيقه. إلى تقييمه وتنفيذه.

• لاحظ أني أحاول أن يكون هذا الكتاب – سهلاً بسيطاً يسيراً- ممتعا ومفيداً في آن واحد (حتى لغير أهل الاختصاص) رغم أني أعيش الآن – كما عاش أبو العلاء – رهين المحبسين: القلم والألم.

أما الجزء الثالث: فيشمل تعريف العمارة الداخلية والنظرية المثالية:

" العمارة الداخلية هي الفن العلمي لتشكيل وصياغة الحيز" هذا التعريف البسيط اليسير الموجز (الذي أوثقه). فالعلم أمدنا – وما زال يمدنا بأدوات ووسائل مدهشة – واختراعات بارعة مبهرة. وهذه كلها مساهمات إيجابية لها قيمتها وأهميتها وضرورتها في العمارة الداخلية ودوام تطورها وتحديثها.

- العمارة الداخلية فن علمي يخدم الحياة. ويحرص على تعظيم جودتها. لها اعتبارات نفعية جمالية – تنبع من صميم الحياة نفسها – فإذا ما نجح مصمم العمارة الداخلية في أن يقتطع من ذلك الكون الكبير "حيزاً" يعيد تشكيله وصياغته بحسه الخاص. استحال هذا الحيز إلى حقيقة ناطقة ذات دلالة وإلى "دنيا صغيرة خاصة". ولابد في كل الحالات من أن يجد نفسه إزاء ضرب من التنظيم والتصميم. لتكون هذه الدنيا الصغيرة موضوعاً نفعياً جمالياً. هو ثمرة لتلك الفاعليات الإنتاجية الإبداعية التي يمارسها الإنسان. والمصمم المبدع لعمارة الأرض واتساع عمرانها.

تلك هي النظرية المثالية. ولأن الحيز الداخلي للعمارة هو النواة والقلب لأي مبنى – والمبنى ينمو منه – والعمارة الداخلية تنمو من حاجات ساكنيها وقاطنيها وشاغليها. وهذا الحيز يتكون من ثلاثة مستويات: أرضيته وحوائطه وسقفه.

ونعرض في هذا الجزء لأهم التحديات التي تواجه العمارة الداخلية – في مصر – (مصر التي ذكرها الله – تعالى – في تنزيله الحكيم – القرآن الكريم – خمس مرات تصريحا. ومرات أخرى تلميحاً. بينما ذكرت مكة المكرمة مرتين فقط). وقضايا التجديد والحداثة وما بعد الحداثة... لأن رفض الجديد ما هو إلا رفض للمستقبل واستسلام لانتحار بطيء – كما أن تجاهل التراث المصري والتأصيل هو إنكار لقيم هامة وتدمير للأصول والجذور مؤداه التخبط والضياع – ومن ثم بات المخرج الوحيد هو التأكيد على التواصل والأخذ بأسباب التقدم الحضاري. عن طريق التجديد مع التأصيل.

لابد أن نقر – كما قلنا – بأن الطريق إلى العالمية يبدأ من خلال التعمق في المحلية. والعمارة الداخلية المصرية ينبغي أن تعرض حاضرها وحضارتها.

وكاتب هذه السطور أول من خرج عن الجمود. وأول رائد للحداثة وأول من جدد في العمارة الداخلية المصرية – ويشهد على ذلك – سمات كافة مشروعاته – منذ أن كان طالباً بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة وأثناء بعثته ثم عمله وإنتاجه ببروكسل (عاصمة أوروبا الموحدة) وحتى هذه اللحظة.

رغم حرصه على التأصيل. وإيمانه بعبقرية التراث المصري وعبقرية الحداثة وما بعدها.

وتنتهي الدراسة بالجزء الرابع إلى تحديد عناصر النظرية:

• قيم وشروط وضرورات أساسية ينبغي توافرها في العملية التصميمية للعمارة الداخلية – والتي تهدف في مجملها إلى تحديد المعايير الفنية العلمية لها وتنظم مناهج إرسائها – وما تمثله هذه العناصر من صفات لها دلالاتها الواضحة في جوهر النظرية وركائزها ومنطقها.

والواقع أن هذه القيم المعيارية تحدد الأسس الموضوعية التي تقوم عليها العملية التصميمية للحيز المعماري الداخلي... وما يحكمها من ضوابط وقواعد وشروط ومعايير راسخة مستقرة محكمة.

هي مجموع العمليات الفعالة التي يؤثر بها المصمم على البيئة المحيطة مباشرة بالإنسان – وعلى هذه الدنيا الصغيرة الخاصة – التي يستقطعها من الكون الكبير ليخلق بها بيئة خاصة ومجال ومنطقة نفوذ وإبداع.

لكي يشكلها ويصوغها ويكيفها للأداء الوظيفي الأمثل لكل ما يباشره الإنسان المعاصر في كل أنشطته اليومية في الحيز المعماري الداخلي.

العمارة الداخلية فن علمي يسعى إلى سعادة الإنسان وتكريمه ورفاهيته في معزوفة متكاملة بين الجمال ومتعة العين والعقل والنفس.

وحتى لا يصبح مصمم العمارة الداخلية بلا رؤية ودون رؤى (الرؤية هي الواقع والرؤى هي المستقبل). وهذه القيم في مجملها يمكن تحقيقها وتفعيلها خلال اتخاذ القرارات التصميمة لكافة مشروعات العمارة الداخلية.

• هذه العناصر – في تقديري – هي الوصايا العشر لمصمم العمارة الداخلية في كل مكان وزمان. ويمكننا أن ندرك التأثير المتبادل لعناصر النظرية.

1- **الإبداع**.
2- **الوظيفية**.
3- **الجمال**.
4- **الوحدة**.
5- **البساطة**.
6- **النسب**.
7- **صحة الإنشاء**.

العناصر المكملة:

8- الضوء.
9- اللون.
10- الملمس.

obeikandl.com